اللامنتمي .. اصله عراقي

علي حسين

كان في الرابعة والعشرين من عمره حين اصدر كتابة الاول (اللامنتمي)الذي جلب له المال والشهره العريضة لم يتوقع مؤلفه (كولن ولسن) أن يحظى باهتمام واسع من قبل الشبيبة الاوروبية والاميركية وان يترجم إلى مختلف لغات العالم. في الوقت ذاته الذي ابدى فيه نقاد الادب هناك ازدراءهم واستخفافهم بـ (الجهد) الذي بذله المؤلف عبر مطالعاته الموسوعية لسير ونتاجات قادة الفكر الاوروبي ودراسته مصادر وينابيع الفلسفات. ومحاولته ايجاد روابط بين سير هؤلاء المفكرين وما قدموه من نتاج فكري ورؤية فلسفية وصولاً إلى اصراره على الامساك بخيوط (اللاانتماء) من خلال تلك السياحة الثقافية الشاملة. الان «اللامنتمي» كان قد حوله عام ١٩٥٦ الى هاجس مثير، وهو نفسه كان قد تحول الى لا منتمٍ . لا منسجم ومؤلف ل١١٠كتب.

لقد استمر ولسن في الإعلان عن عبقريته منذ صدور كتابه «اللامنتمي» عام ١٩٥٦ ثم استيقاظه فجأة على الشهرة. كان قد كتبه في قاعة المطالعة بالمتحف البريطاني عندما كان ينام على فراش متنقل في شارع هامبستيد هيث. كان ابناً لعامل في أحد المصانع الصغيرة وكان قد ترك دراسته في السادسة عشرة،ونجح في التهرب من الخدمة العسكرية بحيلة صغيرة. كان يوفر ما يعينه على الحياة بالعمل في مهن غريبة ليتفرغ لقراءة كل ما كان ينشر في ذلك الوقت، وتأليف كتاب «اللامنتمي» الذي حظي بالإشادة باعتباره النموذج الانكليزي من رواية ألبير كامو (الغريب). غير أن شهرته الأدبية سرعان ما تقهقرت ليتحول الى منبوذ في أقل من عام واحد. وعلى الرغم من أن جريمته المباشرة في تلك المرحلة كانت الظهور المكثف في المناسبات وزيادة معارفه، و شهرته، الا أن جريمته اللاحقة، الأسوأ، كانت تأليفه عدداً كبيراً من الكتب تجاوز المئة حسب الإحصائية الأخيرة .في موضوعات تتراوح ما بين جرائم القتل التي يقوم بها محترفون والاختطاف المنفر

وعلى الرغم من ان النقاد هاجموه في البداية ثم تجاهلوه بعد ذلك . لم يتناوله أحد بالنقد الجاد لسنوات. فقد كان من اللافت لشخص في مثل ظروف (كولن ولسن) أن يتوفر له الوقت والمواظبة ليواصل الساعات الطوال كل يوم ولعدة سنوات في مكتبة المتحف البريطاني الشهيرة من اجل القراءة في محاولة للوصول إلى (اكتشافات) جريئة عبر آلاف الكتب التي طالعها لبناء استنتاجات متميزة وهو في العشرينيات من عمره. وكان شيوع كتابه (اللامنتمي) بمثابة (صدمة) واجهت نقاد الادب فحاولوا الاستهانة بهذا الكتاب بل لم يتورع بعضهم عن وصفه بأنه نوع من (الصرعات) الحديثة التي اجتاحت الشبيبة انذاك والطريف ان (كولن ولسون) كما قال هو نفسه قد أصيب بالدهشة للشهرة الواسعة التي حظي بها هو شخصياً اثر صدور هذا الكتاب

يكتب كولن ولسن في كتابه (رحلة نحو البداية) الذي ترجمه الناقد المصري المعروف سامي خشبة : قبل ان انشر كتابي " اللامنتمي " فكرت اقول لنفسي ينبغي لهذا ان يعيد الأمور الى نصابها ويعيدها الى الحياة . ثم فجاة اصبحت في التلفزيون تحت الاضواء المركزة ، القى التشجيع لكي اتشاجر .. او في افتتاح معرض للفن .. مع احد اللوردات القى التشجيع لكي اناديه باسمه المجرد .. في حفلة يشيرون اليّ الضيوف باعتبارى مثل الاعجوبة الطبيعية ، او يهاجمني ناقد .. فما علاقة كل هذا بكتاب " اللامنتمي " ؟..لقد كان شيئا لا يصدق ، وكان اكثر غباء وجنونا من كل ما كان بوسعي ان اتخيله ، ولم يكن على علاقة مطلقا بأي شئ اهتم به . كان استعراضا ساخرا فكاهيا للنجاح .

في ذلك الصباح من يوم الاحد ، حينما ظهرت اول عروض الكتاب ، فكرت بيني وبين نفسي قائلا انني كسبت وفزت واحرزت هدفي . ثم حينما مرت اسابيع الدعاية ، تبينت كل ما فعلته عدا ذلك ، تبينت انني لم احرز هدفي . وان المعركة قد انتقلت فحسب الى جهة اخرى ، وبدأت اكتشف حقيقة ما قاله سارتر من ان الجحيم هم الآخرون) ....وفي اليوم التالي ظهرت صحيفة " ديلي اكسبرس " بعنوان يقول : (كولن ولسن يعترف بأنه مخادع) ونقل عني انني قلت : (ان اللامنتمي قد كتب بناء على قصد زائف تماما).

بعد ستة اشهر من نشر اللامنتمي . كان الراي العام السائد بين المثقفين الانكليز ان كتاب اللامنتمي كان نوعا من الجنون مات ميتته الطبيعية ..واحسست بان كل صحفي في انكلترا قد اراد ان يلقي حجرا على الشاهد الحجرى الذى ينتصب على شهرتي الميتة . واشترك الامريكيون ايضا في هذه التسلية . فليس هناك من بلد اكثر من امريكا تلهفا على إضفاء الشهرة على الناس ، وليس هناك بلد اكثر منها ابتهاجا برؤية الشهرة وهى تسقط وتذوي .

فمن هو اللامنتمي؟

يعرف كولن ولسن اللامنتمي بقوله انه الانسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الانسانية من أساس واه .و الذي يشعر بأن الاضطراب و الفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه لقد رأى الماضي اشخاصا مثل هذا توفرت لديهم مثل هذه الرؤى المفزعة .

لقد قدم لنا ولسن بأخذه هذا المجهود على عاتقه كتابا عظيم الاهمية بالنسبة الينا .اذا كنا نريد حقا ان نجد حلولا لمشاكل عصرنا

يضرب لنا ولسن مثلا على اللامنتمي النموذجي في الادب الحديث فيدلنا الى بطل قصة باربوس (الجحيم)الذي يلجأ الى غرفته في الفندق ليغلق بابها و يعيش ليرقب الاخرين من ثقب في الحائط . انه كما يقول باربوس ((يرى اكثر و اعمق مما يجب)) و هو لا يرى الا الفوضى . و تعطينا كراسة(ويلز) الاخيرة (العقل في منتهى حدود الاحتمال) نذيرا بمثل هذا الاستيقاظ فهنا نجد رجلا عاش حياته كلها منتميا و فجأة يرى الهوة امامه ؛ فيصرخ مدعيا اننا لم نكن ذاهبين الى اي مكان ...

و يتبع و لسن طبيعة اللامنتمي خلال قصة كامو (الغريب)و اعمال ارنست همنغواي الاولى و بطريقة اشد طرافة في مسرحية كرانفيل باركر (الحياة السرية) و يقر ولسن بأن الجو الذي يتميز به عالم اللامنتمي المعاصر جو كريه جدا ان هؤلاء الاشخاص لا يرفضون الحياة فحسب و انما يعاديها الكثير منهم ان عالمهم المجرد من القيم هو عالم اشخاص بالغين والفرق بين عالم البالغين و عالم الاطفال هو احد الفروق الرئيسية بين عالم القرن العشرين و عالم القرن التاسع عشر .

لقد كان لامنتمي القرن التاسع عشر طفلا لا ينتظر منه ان يكون نهيلستيا متشائما .(في الوقت الذي كان فيه الفلاسفة يشبهون مربي البقر – الكاوبوي – حين يتنافسون في لعبة من العابهم)و لم يستطع لامنتمي القرن التاسع عشر ان يعتقد بان الخطا كامن في الطبيعة الانسانية . لأن الفلسفة التي كانت غالبة على ذلك العصر كانت تقول بان الكمال الانساني شيء يمكن ان يتحقق و لهذا فقد ظن ان الخطأ يكمن فيه هو . و كان يعتبر امرا طبيعيا بالنسبة اليه ان يكون مريضا مثل شيللر و ان يتناول المخدرات مثل كولرج و ان يموت شابا مثل شيللي ويتبع ولسن اللامنتمي الرومانسي في (الام فرتر) لجوته .وفي اللصوص لشيللر . وكثيرين غيرهم .مثل هولدرلن و رامبو و مالارميه و رلكه و و بروست . على ان مشكلة اللامنتمي هي في جوهرها مشكلة حية .ولهذا فأن ولسن يعود من الادب الى الحياة نفسها فيعتبر فان كوخ و لورنس و نجنسكي لا منتمين .انه يختارهم باعتبارهم نماذج ثلاث للامنتمي يتميز كل واحد منهم بمميزات خاصة ينافس بها الاخرون في انتمائيته . ميزات في العقلية و الشعور و الجسد . الا نجد ان الطريق التي شقها كل واحد من هؤلاء لم تكن مثمرة في حد ذاتها .

ذلك ان الامر انتهى بفان كوخ و نجنسكي الى الجنون .في حين لم يكن انتحار لورنس العقلي ليقل عن جنون نجنسكي . وينهي ولسن الى ان اهم ما يشغل بال اللامنتمي هو عدم رغبته في ان يكون لا منتميا .الانه لا يستطيع ان يتخلى عن كونه لا منتميا لانه لا يريد ان يكون بورجوازيا عاديا فليس ذلك بالحل الصحيح ان مشكلته هي كيف ينطلق الى الامام ؟الان لورنس و نجنسكي وفان كوخ انما عادوا الى الخلف فاندحروا جميعا .

وهكذا فان اللامنتمي ليس مجنونا ... انه فقط أكثر حساسية من اولئك الاشخاص المتفائلين صحيحي العقول

يريد اللامنتمي ان يكون حرا و هو يرى ان صحيح العقل ليس حرا و لقد وجد نيتشه الذي يتناوله ولسن بالبحث ايضا حلا في أخباره العالم بان جميع الناس يجب ان يكونوا لامنتمين اما لامنتمو تولستوي فقد هربوا من انفسهم بتمسكهم بانكار الذات باعتبار انه جوهر المسيحية و ينتهي هذا الفصل بدوستويفسكي الذي يخصص له ولسن معظم ما تبقى من الكتاب محللا اعماله تحليلا دقيقا ذلك لان اعمال هذا الكاتب تمهد الطريق لتطورات جديدة .

ويرى اللامنتمي ان الدين لا يمكن ان يكون جوابا على مشكلته و عليه فقد يعود كما فعل جورج فوكس ليشهر بفساد العالم وضلاله. او انه يجد الجواب في اعتقاد بليك بان البشر جميعا يجب ان يتمتعوا بقابلية التخيل. ويقودنا هذا الى الحلول التي وجدها نساك الشرق.الذين يختارولسن من بينهم راما كريشنا ليبحثه بحثا وافياويلوح معظم البشرفي نظر راما كريشنا أرواحا مترابطة .وهنا نجد ان الاساس الذي تنهض كل واحدة من هاتين الجماعتين هو : كن متطرفا . ان القديس المسيحي يجرب وهو معلق على صليبه نوعا من الغبطة العنيفة الرهيبة على انه اذا كان مثل هذا التطرف مفروضا فرضا كعقوبة . فان اللامنتمي سيقول بأنه تطرف عديم الفائدة بل مضر (ان قيمة التطرف هي في حيوية الارادة الكامنة فيه)

وهكذا نجد ان البحث الذي ينتهي منه ولسن في هذا الكتاب يتصل شيئا فشيئا حتى يشكل حلقة كاملة ((انني لا اهدف الى ايجاد حل صحيح كامل لمشاكل اللامنتمي .و انما اهدف الى بيان ان مثل هذه الحلول والمحاولات التي بذلت في سبيلها موجودة فعلا)) وقد حقق ولسن هذا تماما فاذا اعتبرنا هذا الكتاب بحثا عن الشخصيات المهمة في الادب الحديث وعن افكار هذا الادب فاننا نجد ان ذلك وحده يجعله يستحق القراءة عن جدارة الا انه اكثر من ذلك انه في الحقيقة سجل حافل للامراض الروحية التي يعانيها البشر في منتصف القرن العشرين

وقد ترجم كتاب (اللامنتمي) إلى العربية المترجم العراقي زكي انيس حسن حتى انه (نحت) تعبير (اللامنتمي) بعد ان وجد انه انسب وأفضل تسمية عربية للعنوان الانكليزي الاصلي للكتاب. ومنه أخذ الكتاب والنقاد العرب يتداولون هذه التسمية وظلت حتى الآن هي المعتمدة في الدراسات الادبية.. وقد انشغلت كما انشغل غيري بمعرفة اهواء وميول هذا المترجم فعرفت انه قاص عراقي ينتمي الى جيل الخمسينيات ترجم العديد من الكتب ابرزها السقطة واسطورة سيزيف لالبير كامو ومغامرات الافكار لهوايتد والانسان الصرصار لدستوفيسكي والعودة الى ميتوشالح لبرنادشو وقصة لوحات كهوف الصحراء لهنري لوت وغيرها من الكتب والدراسات القيمة كما نشر العديد من القصص القصيرة في مجلة اهل النفط ومن بعدها في مجلة العاملون في النفط وكلتا المجلتين كان يشرف عليهما الروائي والمترجم القدير جبرا ابراهيم جبرا العراقي النشاة والتكوين والهوى والذي جمعتني معه جلسات من الود سواء في المكتبة التي كنت اعمل فيها اوفي الطابق الخامس من دائرة السينما والمسرح حيث اشتركنا معا في لجان خاصة بالمسرح وكان اول سؤال سألته لجبرا : اين اختفى انيس زكي حسن ؟ ابتسم جبرا ابتسامته المعهودة ليخرج بعدها صوته خفيضا كعادته حين يتكلم

وما الذي ذكره به وهو من جيل سبقك بعقود؟

–لانه توقف عن الترجمة ؟

نظر الي جبرا دون ان يتكلم ولاحظت في عينيه ظلال حنين الى ماض جميل..

–يبدو انني اثرت شجونك ياستاذ ..

•بالعكس ذكرتني بصديق كان ولايزال من اعز اصحابي..لكنه عنيد هل تدري انه توقف عن الترجمه لاحساسه ان ماينشر في الغرب من افكار لايستحق التوقف عنده ..ليس هذا فقط بل هو رفض عروضاً من دار الاداب لترجمة اعمال اخرى لكولن ولسن لقناعته انها لاترتقي الى مستوى الكتب التي ترجمها للمؤلف نفسه وهي اللامنتمي ..سقوط الحضارة .. المعقول واللامعقول في الادب الحديث..ولكون كولن ولسن تحول الى كاتب استهلاكي يكتب الرواية البوليسية وكتب الشعوذة على حد تعبير انيس ويضيف جبرا ان انيس اخبره ان كتاب اللامنتمي هو اهم ماكتبه كولن ولسن والكتب التي جاءت بعده هي شروح لكتاب اللامنتمي .

.ولكي يرضي جبرا فضولي فقد اخبرني ان انيس زكي حسن خريج دار المعلمين العالية يجيد الانكليزية وعمل مديرا لدائرة الصحف الاجنبية في وزارة الخارجية العراقية ثم حصل على وظيفة في الامم المتحدة

ونسيت انيس زكي حسن الى ان وقع في يدي كتاب وداعا ايها الملل لانيس منصور وهو مجموعة مقالات كان قد نشرها في صحيفة الاهرام ولان منصور من المهتمين بالفلسفة فهو قد درسها على يد عبد الرحمن بدوي في الخمسينيات وعشق الفلسفة الوجودية تيمنا باستاذه فاصدروهو شاب كتاب باسم (الوجودية) يعد من اوائل الكتب العربية التي تناولت هذه الفلسفة . فقد خصص كتاب وداعا ايها الملل للحديث عن فلسفات العبث واللامعقول والتمرد ..وفي الفصل المسمى المنتمي واللامنتمي وجدت انيس منصور مثلي يبحث عن شخص اسمه انيس زكي حسن لكنة على العكس مني حظي بمقابلة الرجل وتحدث معه :

(ظهر فجاة وبلا مقدمات كتاب عنوانه الغريب.. وقد ترجمه الى العربية انيس زكي حسن وهو من ادباء العراق بعنوان (اللامنتمي) وعندما قابلته في بغداد في اوائل السبعينيات عرفت منه انه تعب كثيرا حتى وصل الى هذه الكلمة وهي لاشك كلمة موفقة .. وهي تدل الى حد بعيد على المعنى الذي يريده كولن ولسن من ان الانسان اللامنتمي هو الذي لايرتبط باحدولايلتزم بشيء وهو يحس انه وحده وان وحدته هي السجن الذي اختاره لنفسه)

ووجدت في كتاب انيس منصور اجوبة لبعض تساؤلاتي حول انيس زكي وترجمته لكتاب اللامنتمي لكن السؤال المهم اين اختفى انيس زكي حسن لم اجد له اجابه الان طالعت مقالة كتبها انيس منصور في جريدة الشرق الاوسط عام ٢٠٠٨ تحت عنوان (ولكن اين انيس زكي حسن) يقول فيه:

(لم انس اديبا عراقيا اسمه انيس زكي حسن ترجم كتاب (اللامنتمي) وانه صاحب هذه الكلمة البديعة وادهشني كيف عثر عليها .. وذهبت الى بغدادوحاولت ان اعرف اين هو ولم اجد جوابا وانما كلهم يقولون لانعرف من هو وكتبت في الايام الماضية عنه وفجاة قرأت على الانترنيت رساله منه يشكرني انني مازلت اذكره واننا سوف نتواصل مادام حيا ان شاء الله)

ويبدو ان ذاكرة كاتبنا خانته هذه المره فنسي انه اخبرنا في مقال منشور قبل سنوات طويله انه التقى بمترجم اللامنتمي في بغداد.. لايهم فالذاكره خاضعة لعوامل تقادم الزمن .. المهم اننا عرفنا ان انيس زكي حسن لايزال حيا يرزق وان عنوانه هو (مترو بوليتان باريس) ..ولانعرف كما لايعرف انيس منصور هل هذا هو عنوان فندق او احد احياء باريس.

خارج المدى

رامبرز والبحر

محمود عبدالوهاب

حينما قرأ همنغواي ما كتبته مجلة (اكسلسيور) الكوبية عن روايته (الشيخ والبحر) تملّكَ همنغواي الغضب . رفض (المقابلات) . سافر في اليوم نفسه إلى قرية (كوجيمار) حيث يسكن الصياد (رامبرز) الذي حاورته المجلة الكوبية عن لقائه همنغواي وإدلائه بمعلومات غير صحيحة ، وقد حمل همنغواي معه جهاز تسجيل توخياً للدقة ودحضاً للافتراء .

المجلة الكوبية (اكسلسيور) ادعت أن الصيّاد (ميغيل رامبرز) البالغ من العمر ثمانية وستين عاماً هو رجل الواقع الذي منحه همنغواي اسم (سانتياغو) في روايته (الشيخ والبحر) وأن همنغواي التقى رامبرز في (بيسترو) وأستمع الى ما حكاه عن معاناته اصطياد سمك القرش موضوعة (الشيخ والبحر) ، وأن أحداث الرواية لم تكن إلاّ من (مرويّات) رامبرز نفسه ، وأن همنغواي قد ابتاعها منه ووعده بشراء بنطلون جديد ومركب جديد حالما تصدر الرواية .

أنكر الصياد العجوز (رامبرز) ما كتبته المجلة الكوبية ، لكنّ همنغواي لم يهدأ . كان قادحو همنغواي وخصومه قد أشاعوا في الأجواء الثقافية نضوب همنغواي ابداعياً وكان صدور رواية (الشيخ والبحر) دحضاً لتلك المزاعم وهجوماً مضاداً .

على ما أتذكر ، لم يشرْ كارلوس بيكر ولا هوتشنر ولا انتوني بيرجس في كتبهم الرصينة عن همنغواي إلى حكاية رامبرز . لم ترد الحكاية أيضاً في الدراسات التي اطلعت عليها عن سيرة همنغواي ورواياته . اشارة مقتضبة كتبتها مجلة اكسلسيور الكوبية إلى حكاية رامبرز وردت في كتاب (في تجربة الكتابة) الذي أصدرته جريدة (المدى) في سلسلة (الكتاب للجميع) ووزعته مجاناً على قرائها على وفق تقليد ثقافي التزمت به الجريدة مطلع كلّ شهر . الكتاب (في تجربة الكتابة) مجموعة من الدراسات موقعة باسم مستعار هو (س . ر . مارتين) تناولت تجربة الكتابة الروائية واستقصاء حالاتها عند عدد من الروائيين الكبار كان من بينهم آرنست همنغواي .

عبثاً أن يربط أحد الدارسين بين رواية (الشيخ والبحر) وحكاية رامبرز ، فالرواية هي بالأصل عين الحكاية التي وردت عام ١٩٣٦ في مقال لهمنغواي نفسه قبل لقائه بالصياد العجوز رامبرز بسنوات طويلة ، يذكر مقال همنغواي أن صياداً عجوزاً كان يصيد " في قاربه بعيداً عن كابانا سمكة مارلين كبيرة جرّت قاربه وأوغلت به في البحر " . عانى الصياد مع سمكة المارلين ومع كلاب البحر أياماً وليالي حتى أدركه الإعياء وقد أكلت كلاب البحر من لحم سمكة المارلين الجزء الكبير ولم يبق منها غير هيكلها ثم انزوى الصياد باكياً وكلاب البحر تحوم حول قاربه . أليست حكاية صياد ١٩٣٦ هي عين حكاية (الشيخ والبحر) وموضوعتها المهيمنة التي أعاد همنغواي انتاجها بشكلها الباهر ودلالاتها العميقة التي مهّدت لرواية (الشيخ والبحر) أن تنال جائزة بوليتزر عام ١٩٥٢ ثم جائزة نوبل عام ١٩٥٤ عن الرواية نفسها .

يذكر هوتشنر وهو صديق همنغواي الحميم لأربعة عشر عاماً أنه قرأ مخطوطة (الشيخ والبحر) بالعنوان نفسه وكانت استجابته للمخطوطة فيضاً من ألحيمية ، وتذكر ماري زوجة همنغواي أن المخطوطة كتبت بخط أنيق وكانت صفحاتها ، على غير عادة همنغواي ، تخلو من التنقيحات الكثيرة المعتادة . همنغواي نفسه كان عازماً على أن تكون (الشيخ والبحر) جزءاً من كتاب كبير يليه جزء ثان عن (الأرض) وجزء ثالث عن (الجو) ، أما (الشيخ والبحر) فهي الجزء الأول الخاص بالبحر ، ولكنّ همنغواي عدل عن ذلك .

تنطوي أعماق رواية (الشيخ والبحر) على الدلالة الكبيرة " قد يتحطّم الإنسان ولكن لا يُهزم " .

تلك هي حساسية المبدع: حين تملك همنغواي الغضب بسبب حكاية رامبرز . فالمبدع الكبير يحرصُ دائماً على أن يكون كلّ ما في نصوصه مِن (صنعه) ولكن من أين يجيء ذلك الذي (يصنعه) ؟ أمِنَ الفراغ ؟! .

متابعة

ضعف تلقي الشعر العراقي المعاصر في أمسية ثقافية

رعد شاكر

ميسان

فشلُ فرع الأتحاد العام للأدباء والكتاب في ميسان في النهوض بمهامه وانعدام نشاطه المفترض في مجال تحفيز وتنظيم ورعاية أكبر مساحة ممكنة من المشهد الثقافي في المحافظة ، حد أنه لم يقم منذ بداية العام ولغاية اليوم سوى أمسية أحتفالية يتيمة لمناسبة ذكرى تأسيس الأتحاد ، دفع بمؤسسات ومنظمات وروابط ثقافية أخرى لسد هذا الفراغ عبر احتضان فعاليات الكتاب والأدباء والأسهام على قدر الامكانات المتاحة في إدامة الحراك الثقافي . ومن هذا المنطلق نظم فرع مجلس السلم والتضامن في ميسان وضمن موسمه الثقافي الصيفي أمسية أدبية للشاعر الدكتور عباس عودة الذي قدم خلالها ملخصا لدراسة أعدها عن "ضعف تلقي الشعر العراقي المعاصر " قدم للأمسية النيّ حضرها حشد من الأدباء والمثقفين الشاعر نصير الشيخ الذي اشار الى أن غموض القصيدة الحديثة وأنزياحها نحو الأبهام حد وصفها من قبل بعض النقاد بالطلاسم ربما كان أحد أهم أسباب ضعف تلقي وتفاعل الآخر معها .

بعدها قدم الدكتور عباس عودة خلاصة دراسة وبحث ونتائج استبيانات أجراها على عينات من طلبة الجامعات العراقية وتحديدا طلاب كليات الآداب وأقسام اللغة العربية ليصل في نتائج استبياناته الى خفوت صدى الشعر وبالأخص منه الحديث والمعاصر واقتصاره على المتداولين له من شعراء ونقاد ودارسين كونه حقل اشتغالهم الثقافي. وما عدا ذلك فنخبة قليلة من غير هؤلاء تتداوله من باب التذوق الشخصي ما يشير الى انحسار ما يسمى قبلا ديوان العرب لصالح الرواية وغيرها من الكتابات الادبية. وتطرق الباحث من خلال شواهد إحصائية على افول الشعر وانحساره نتاجا وقراءة. مشيرا ألى أن ظاهرة ضعف تلقي الشعر لا تقتصر على الشعر العراقي المعاصر بل تشمل الشعر العربي والعالمي أيضا

وعدد الباحث خلال محاضرته نحوا من عشرة مظاهر استنتجها من الأستبيانات والأحصاءات التي أجراها بهذا الخصوص منها أزدواجية اللغة حيث أخذ نتاج اللغة الدارجة (العامية) الأدبي وخصوصا الشعر الشعبي القسم الأكبر من جمهور الشعر كذلك غياب نماذج الشعر المعاصر في مناهج التعليم الدراسي بكل مراحله وانحسار أهتمام النقاد وعزوف دور النشر عن طباعة ونشر النتاج الشعري المعاصر .

وأختتمت الأمسية بجملة من الملاحظات التي أبداها عدد من الحاضرين حيث أشار الشاعرو الناقد جمال جاسم أمين الى الجهد الواضح للمحاضرفي تبيان نتائج ما وصل اليه من ضعف تلقي الشعر منوها الى ضرورة دراسة أسباب هذه الظاهرة التي تنسحب على مجمل النتاج الثقافي . فيما قال الناقد حسن السلمان أن ضعف تلقي الشعر لا يكمن في الشعر بحد ذاته وإنما يرجع لضعف البنية الثقافية لدى المتلقي . من جهتنا أشرنا الى غياب دور الناقد الرصين في غربلة النتاج الشعري وتوجيه المتلقي عبر إضاءة النص الشعري بنص نقدي يقترح مقتربات قرائية ويقدم مفاتيح لهذه القراءة .بعيدا عن لغة النقد المغرقة في التعقيد والمصطلحات او المجاملات النقدية التي اسهمت في توسيع الفجوة والجفوة بين النتاج الشعري والقارئ ناهيك عن دور غالبية الصفحات الثقافية في هذا عبر تبنيها نشر رديء الشعر وركيكه.

هذا وأثنى الحاضرون على بادرة مجلس السلم والتضامن في التصدي للهم الأدبي والثقافي في المحافظة مقترحين عليه عقد طاولة نقدية لبحث أسباب ظاهرة ضعف التلقي الثقافي عموما وضعف تلقي الشعر العراقي المعاصر على وجه الخصوص. .

تراتيل طيور محنطة

الشاعر يمسك الجمر المتوهج بالحياة

محمود النمر

موحشٌ انتَ ، ايها الموت ،موحشةٌ انت ايتها الشوارع ،لا تراتيل هنا ايتها الطيورُ المَحنطة ،ربما يرد ان يقول الشاعر مروان عادل حمزة هذه الصرخات الصاخبة في وجه الموت الشاحب الاصفر، في مجموعته الفائزة في مسابقة ديوان شرق غرب للدورة الثالثة التي حملت اسم(دورة محمود درويش)والتي جاءت مناصفة مع الشاعر المغربي عبداللطيف الـورواري عن مجموعته (ترياق).

المجموعة متكونة من اثنين وعشرين قصيدة وهي من القطع الصغير ،وهي المجموعة الاولى للشاعر مروان عادل حمزة ،وتدور شكلانية المجموعة حول مصير الانسان العراقي المثقل بالهموم وتداعيات الحروب المتوالية والسقوط الدراماتيكي للطاغية وما حصل بعدها من احداث مؤلمة للانسان العراقي ، الذي مازال يبحث عن الأمكنة الآمنة التي ليس فيها انفجارات ولا عصابات ولا مفخخات ولا حرائق ، ولم يزل يحلم ولو للحظة ،ان يرى شوارع وبشر تحتضنهم السكينة ،وتجمعهم الالفة ،ان انزياحات مروان النثرية تمزق شكلانية القصيدة ،وتمنحها بعدا انسانيا يحيلها الى تشظي هذا الواقع ،الذي يعطي صورة متطابقة مع يوميات الانسان العراقي ،ويمنح القارىء المشاهد والصور الحية الذي يمسك الجمر المتوهج بالموت، ويمارس فرصة الحياة وهو في (التنور العراقي)،ففي القصيدة الاولى للمجموعة السماة (الى متواهم الاخير)يشير الشاعر الى النهايات التي لامناص منها، النهايات الانسانية ،وهي تمثل صرخة كونية لمحنة الانسان ،ربما لم يكن الانسان العراقي فقط ،بل هو الانسان الذي يحاول ان يتماسك ليمضي في اراض ملغّمة ،حيث يقول :هكذا هم !!/ينضجون مبكرا فتأكلهم المبادىء /ويصيرون عرضة للخلود/ويصيرون اغاني /ويصيرون اقنعة /واسماء شوارع / واسماء لصواريخ تقتل الناس /هكذا /وفي الالف الثالث من طفولتهم /يستردهم الله/هرمين/كسفن قديمة/قد لايعودون ابدا /قد لايعودون ابدا /فكن حذرا ايها الميت كثيرا /فالذين فاتهم ان يطعنوك ينطرون/حياتك القادمة.

ان الشاعر يمضي وهو جزء من المعضلة ليقول في قصيدة (قوانة قديمة)انه كلما مر على مقربة من مسمياته /بكى ذلك الرجل المتبقي من مزاميره الاولى /وجرى /انهم يكشطون دمه كل مرة الى بالوعات مجاورة /ويسحبون عظامه المتفحمة قبل التأكدالى مقابر سياراتهم ،ثم يسترسل في عزائه ليشكل الحوار السردي الداخلي /فأشهد ان لا إلى إلاّ اليه/ينصبُ لوحده /مجلس عزائه الاسفل / يستقبل تعازي الميتين قبله.

انه يستقبل صفة الموت ويبعث برسائل ميتة ،اشارة الى هذا العالم الذي يتمحور بين عالمين، الاعلى الحي، والاسفل الميت، ويمنحهما صفقة واحدة .

انها يوميات إنسان ،ولكنها ليست عابرة ،لانها تؤدي به الى قصيدة (مشهد معتاد) ستة ارجل ممدودة ميتة/تحركها مطبات الشوارع /وستة ارجل /لرجال شرطة منتصرين /تجلس متقابلة /ورجلان لمدرس مستطرق / يحمل كيس فستق بخمس مئة دينار فقط /وبطء شديد/تسير السيارة الحوضية البيضاء /في الشارع المؤدي الى الطب العدلي .

من هنا يشيرالشاعر المدرّس، الى الموت السريع الذي يبتلع الشارع عبر السيارة الحوضية التي تتجه مباشرة، وبلا مبالاة ،الى صناديق الطب العدلي المثلثة بالجثث،ويريد الشاعر ان يوصل احتجاجاته الى الله ،ويعطيها زخما من الصور المؤلمة في جسد الوطن فيقول في قصيدة (لكي نظل معا) لكن الله/لايرجع عن قراراته إلا معي / نسيتُ ان اخبركم /بأني شاعر/وبأني اموتُ في كل الانفجارات /حتى ان ملائكة الموت ملّت قبض روحي /متُ سابقا في حلبجة في الشمال /ورافقت اصدقاء كثيرين في مقابر جماعية في الجنوب .

ثم يلقي بظلال اسئلته على خارطة السياسيين الذين لايمتلكون العصى السحرية للتغيير بل هم ارقام ليس إلا /في قوائم مرفقة بجلسون/ كومة احرف /لاتشكل غير اسماء ثلاثية /لايعبأ بها احد.

وفي قصيدة(دمعة)يعلن بصوت واضح الإحتجاج الى وجه الله الذي يرى ولا يفعل شيئا بما يترتب على الخالق ان يدرأ الخطر عن العباد /الست تقول إنك قادرٌ على كل شيء...؟ /يارب / اهلي هناك خائفون/زوجتي ميتة من الرعب /فإما... / ان تاتي بهم /أو.... .وهنا يحاول الشاعر ان يمزق صفة الخوف من سطوة المقدس مادامت لا تفعل شيئا وتقف مكتوفة الايدي امام هذا الدمار الذي يكتسح البلاد ،ولكنهُ في الوقت نفسه يبشر بالقادم من الايام التي سوف ترتقُ الجروح المتقيحة من جسد الوطن المدمى من الارهاب والقادمين من وراء الحدود في الجهات الاربعة فيقول في قصيدة (تقارير الرابعة عصرا)انا الان في طابق الحافلة الثاني /اتنفس شوارعك من شبابيكها /يامدينتي المحررة /انا الان اغمس سبابة طفلي وشهوره السبعة /في حبر إنتخاباتك السعيدة /انا الان / في طابق بيت عمي الثاني /انفض عن فروة رأسي اعقاب سكائر الحروب .

ان مجموعة(تراتيل طيور محنطة) تستحق ان نتوقف امامها باحترام لما تمتلكه من قدرة نثرية شعرية ،تمنحك بلا مقابل الصور المبعثرة في الشوارع التي باتت اكثر من البشر ،الصور المؤلمة النازفة في الازقة وفي المدارس وفي المستشفيات ،وهي امكنة تحترق يوميا ،المجموعة تمثل تاريخ سبع سنين عجاف مرت على الوجوه العراقية المستبشرة بالتغيير ،وشمس الحرية التي اشرقت في عام ٢٠٠٣ لذلك ظل الانسان العراقي يدفع الثمن بكل ما يملك من قدرة التغيير ،وهذه القدرية مرت بها جميع شعوب العالم التي استنشقت هواء الحرية وداست على انوف الطغاة .